2. نظرية الغرس الثقافي.

تمهيد:

تعتبر نظرية الغرس الثقافي "الإنماء" إحدى النظريات التي ساهمت في دراسة تأثيرات وسائل الإعلام، حيث اهتمت بالتأثير التراكمي لها، حيث يُشير الغرس إلى تقارب إدراك جمهور المشاهدين لوسيلة التلفزيون للواقع الاجتماعي، وذلك بتشكيل طويل المدى لتلك الإدراكات والمعتقدات عن العالم نتيجة للتعرض الكثيف للتلفزيون، وتصنف نظرية الغرس الثقافي ضمن إطار نظريات التأثر المعتدل لوسائل الإعلام، فقد أكد العالم الأمريكي "جربنر" (Gerbner) وزملاؤه خلال فترة السبعينات على أن نظرية الغرس تعمل على التأثير المباشر في سلوك المتلقين بقدرتها على تكوين الأنماط الثقافية، وتؤكد أنه بمقدور وسائل الإعلام من خلال التعرض الانتقائي والاختياري لمسائل معينة والتركيز عليها، خلق انطباعات معينة لدى المتلقين، يمكن معها تكوين أنماط ثقافية مشتركة مرتبطة بهذه المسائل بطريقة محددة[1].

1.2. الجذور التاريخية لنشأة نظرية الغرس الثقافي:

يُشير "ملفين ديفلير" (Melvin Deflir) إلى أن بدايات وجذور نشأة أفكار نظرية الغرس الثقافي "الإنماء" تعود إلى مفهوم "والتر ليبمان" (Walter Lipman) للصورة الذهنية، التي تتكون في أذهان الجماهير من خلال وسائل الإعلام المختلفة سواء كانت عن أنفسهم أو عن الآخرين، بحيث قد تكون هذه الصورة الذهنية بعيدة عن الواقع، نتيجة لعدم وجود رقابة على المواد المعروضة في وسائل الإعلام، مما يؤدي إلى غموض في الحقائق وتشويه المعلومات وسوء فهم للواقع، وبناء على هذا التصور حاول "ديفلير" تطوير نظرية الأعراف الثقافية والتي تتقاطع إلى حد كبير مع أفكار نظرية الغرس. وفي أواخر الستينيات، شهد المجتمع الأمريكي فترات الإضرابات بسبب مظاهر العنف والجريمة، وذلك في أعقاب اغتيال "مارتن لوثر كينج" و"كيندي" وتزايد الاهتمام بتورط الولايات المتحدة الأمريكية في حرب فيتنام.

وفي عام 1968 تم تشكيل لجنة قومية أمريكية لبحث أسباب العنف والوقاية منه وعلاقة التلفزيون بذلك، وقام الباحثون بأبحاث عديدة منذ هذه الفترة ركزت معظمها على تأثير مضمون برامج التلفزيون التي تقدم وقت الذروة وفي عطلة آخر الأسبوع على إدراك الجمهور للواقع الاجتماعي وكان العنف هو الموضوع الرئيسي محل البحث. ليبدأ الباحث الأمريكي "جورج جربنر" (George Gerbner) دراساته الخاصة بالمؤثرات الثقافية[2]، وأكد على أن التلفزيون أصبح قوة مسيطرة للكثير ومصدرا رئيسيا لبناء تصوراتهم عن الواقع الاجتماعي. وبالتالي فإن العلاقة بين التعرض للتلفزيون والأفكار المكتسبة، يكشف عن مدى إبراز أهمية دور التلفزيون في القيم والتصورات المدركة للواقع الاجتماعي، وبذلك أصبح الواقع

---

[1]. شاهيناز طلعت: **وسائل الإعلام والتنمية الاجتماعية**، المكتبة الأنجلومصرية، ط03، القاهرة، 1995، ص107.

[2]. بسام عبد الرحمان المشاقبة: **نظريات الاتصال**، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2015، ص189.

الإعلامي المدرك من التلفزيون هو ما يعتمد عليه الفرد في علاقاته مع الآخرين، مما يستلزم استخدام مدخل مختلف عن المداخل التي تستخدم في دراسة تأثير تلك الوسائل. ويرجع ذلك في رأي "جربنر" إلى أن التلفزيون قد أصبح المركز الرئيسي للثقافة الجماهيرية، وأن تأثيره قد أصبح أساسيا في التنشئة الاجتماعية للغالبية العظمى من المشاهدين، بما يعرضه من نماذج مكررة ونمطية للسلوك والأدوار الاجتماعية المختلفة، ووضع "جربنر" وزملاؤه من خلال هذه الدراسات مشروعه الخاص بالمؤثرات الثقافية، والتي اهتمت بثلاث قضايا متداخلة، وهي[1]:

– تحليل العملية المؤسسية أي دراسة سياسات الاتصال في علاقتها بمضمون واختيار وتوزيع الرسائل الإعلامية.

– تحليل محتوى الرسائل الإعلامية وهي عبارة عن دراسة الأنماط السائدة للصور الذهنية والسلوك الأكثر تكراراً التي تعكسها الرسالة الإعلامية، مثل تصوير العنف والأقليات والنوع والمهنة وغيرها من القضايا.

– تحليل الغرس الثقافي والتي تدرس العلاقة بين التعرض للرسائل التلفزيونية وإدراك الجمهور للواقع الاجتماعي.

وتعد نظرية الغرس المكون الثالث من مكونات مشروع المؤثرات الثقافية، الذي يهدف إلى إقامة الدليل الإمبريقي على تأثير وسائل الاتصال الجماهيرية على البيئة الثقافية، حيث ترى نظرية الغرس أن التلفزيون يعد بمثابة الأساس الثقافي المركزي للمجتمع، وأنه يقدم القصص والحوادث والمصمم الأساسي للصور الرمزية التي تساهم في تكوين المعتقدات عن العالم الحقيقي، وبالتالي فإن كثيفي المشاهدة سيدركون الواقع الحقيقي الذين يعيشون فيه بصورة تتفق مع الصور الذهنية المقدمة في التلفزيون[2]، ولكن يعمل الغرس التلفزيوني على تغيير بعض المعتقدات عند الأفراد كثيفي المشاهدة، ويحدث ذلك من خلال التعرض التراكمي للتلفزيون، في حين يسعى للإبقاء على هذه المعتقدات لدى آخرين.

2.2. مفهوم الغرس عند "جرنبر":

يمكن تعريف الغرس (Cultivation) بأنه زرع وتنمية مكونات معرفية ونفسية تقوم بها مصادر المعلومات والخبرة لدى من يتعرض لها، وقد أصبح مصطلح الغرس منذ منتصف السبعينيات يرتبط بالنظرية التي تحاول تفسير الآثار الاجتماعية والمعرفية لوسائل الإعلام وبخاصة التلفزيون، باعتبار الغرس حالة خاصة من عملية أوسع هي التنشئة الاجتماعية[3]. وتعتبر عملية الغرس نوع من التعلم

---

[1]. محمد محمد عمارة: **دراما الجريمة التلفزيونية: دراسة سوسيو إعلامية**، دار العلوم للنشر والتوزيع، ط01، القاهرة، 2008، ص69.

[2]. أماني عمر الحسني: **الإعلام والمجتمع: أطفال في ظروف صعبة ووسائل الإعلام مؤثرة**، عالم الكتب، ص01، القاهرة، 2005، ص94.

[3]. محمد محمد عمارة: مرجع سابق، ص70.

العرضي غير المقصود للمشاهد الناتج عن التعرض للتلفزيون[1]، حيث يتعرف الجمهور على حقائق الواقع الاجتماعي نتيجة التعرض لوسائل الاتصال، كما أن مداومة التعرض لوسائل الإعلام ولاسيما التلفزيون لفترات طويلة تنمي لدى المشاهد اعتقادا بأن العالم الذي يراه على شاشة التلفزيون ما هو إلا صورة مماثلة للعالم الواقعي الذي يعيش فيه، لتنفرد نظرية الغرس الثقافي بتقديم تصور لطبيعة الدور الذي تنهض به وسائل الإعلام في تقديم الواقع الرمزي والصور الذهنية للواقع الحقيقي[2].

3.2. أسس وأفكار نظرية الغرس الثقافي:

وضع "جربنر" مجموعة من الدعائم الأساسية لنظرية الغرس الثقافي، يعتبرها "حسن عماد مكاوي" و"ليلي حسين السيد"، بمثابة خمسة افتراضات للنظرية، تتمثل فيما يلي[3]:

- يعتبر التلفزيون وسيلة فريدة للغرس بالمقارنة مع وسائل الاتصال الأخرى:

ترجع أهمية التلفزيون وتفرده عن غيره من وسائل الاتصال لشيوع وجوده في المنازل وسهولة التعرض له، كما يساهم في تنشئة الأطفال بدرجة لا تحدث مع الوسائل الأخرى، حيث يجد الطفل نفسه مستغرقا في بيئة التلفزيون منذ ولادته نظرا لتوافر عناصر الصوت والصورة والحركة واللون، كما يقضي الطفل معظم أوقاته أمام التليفزيون نظرا لسهولة استخدامه، ويختلف التلفزيون عن الوسائل المطبوعة لعدم احتياجه للقدرة على القراءة والكتابة، فيتميز عن الراديو في إمكانية توفير الرؤية بجانب السمع، ويختلف عن السينما في كونه وسيلة مجانية تعمل طوال الوقت وليس في أوقات محددة ولا تحتاج إلى مغادرة المنزل، لذلك يعتبر التلفزيون من أهم وسائل الإعلام التي تترك أثرا في تقديم الأفكار والقيم والصور الإعلامية المختلفة لجميع فئات وشرائح المجتمع.

- يقدم التليفزيون عالما متماثلا من الرسائل والصور الذهنية تعبر عن الاتجاه السائد:

الغرس عبارة عن عملية ثقافية تؤدي إلى خلق مفاهيم عامة توحد الاستجابة لأسئلة ومواقف معينة، ولا ترتبط بالحقائق والمعتقدات المنعزلة، وتأتي هذه المفاهيم من التعرض الكلي لبرامج التلفزيون وليس من خلال بعض البرامج المنتقاة. ويقوم التلفزيون بدور مهم في حياتنا لأنه يعكس الاتجاه السائد لثقافة المجتمع، ويقلل أو يضيق الاختلافات في القيم والاتجاهات بين المشاهدين، إلى الحد الذي يعتقدون معه أن الواقع الاجتماعي يسير على الطريقة التي يعبر عنها التلفزيون، لذلك ينظر إليه على أنه أداة الربط بين الصفوة والجمهور العام، حيث تقدم الرسائل التلفزيونية المختلفة العديد من الثقافات والآراء والصور الذهنية التي تشاهدها كل الفئات والمستويات المختلفة في المجتمع.

- تحليل مضمون الرسائل الإعلامية يقدم مفاتيح للغرس:

---

[1]. عبد النبي عبد الله الطيب: **فلسفة ونظريات الإعلام**، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط01، 2014، ص153.

[2]. William Fredirick: **the new communication**, Belment, wads warth publishing company, 1984, P300.

[3]. عماد حسن مكاوي وليلي حسين السيد: **الاتصال ونظرياته المعاصرة**، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 1998، ص304.

يجب أن تعكس أسئلة المسح المستخدمة في تحليل الغرس ما يقدمه التلفزيون في الرسائل التلفزيونية لجماعات كبيرة من المشاهدين على فترات زمنية طويلة، مع الاهتمام بالتركيز على قياس المشاهدة الكلية، حيث يجب أن تتجه أسئلة المسح المستخدمة في تحليل الغرس نحو اعتبارات "العالم الواقعي" وهو المطلب الأول لعملية الغرس، إلى جانب أهمية العالم الرمزي الذي يقدمه التلفزيون وهو المطلب الثاني لعملية الغرس.

- تحليل الغرس على مساهمة التلفزيون في نقل الصور الذهنية على المدى البعيد:

تهتم نظرية الغرس بأهمية التغيير الذي يحدثه التلفزيون نتيجة للأشكال المتكررة والقصص لجذب الجماهير، وبهذا يُعد التلفزيون أداة للتنشئة الاجتماعية، وبالتالي يستطيع خلق حالة من التوافق والتجانس بين المشاهدين، من خلال ما يقدمه من الأشكال والنماذج المتكررة، ما يساهم في خلق وجهة نظر مشتركة موحدة بين الجمهور لتذوب الفروق الاجتماعية التقليدية بين المشاهدين.

- تساهم المستحدثات التكنولوجية على زيادة قدرة الرسائل التلفزيونية:

تقدم نظم الكابل، والمحطات الجديدة المستقلة والفيديو، سيطرة أكثر على تلقي البرامج ويمكن أن تحل محل قراءة المجلات والذهاب للسينما، وتشير الدلائل إلى أنه برغم أن التكنولوجيا الجديدة تقدم طرقا بديلة لتقلي البرامج والأفلام، فإنها لا تبدل تعرض الجماهير فعلياً لأنواع البرامج، بل يزيدون مثل هذا التعرض.

- يركز تحليل الغرس على النتائج العامة والمتجانسة:

يعتبر العالم الرمزي الذي يقدمه التلفزيون من خلال الرسائل المتكررة والصور النمطية المصدر المهم في تحقيق التنشئة الاجتماعية وتنمية المفاهيم والسلوكيات في المجتمع، ومساهمة التلفزيون المستقلة تكون متجانسة داخل الجماعات الاجتماعية المختلفة، كما يقوم أيضا على تدعيم هذا التجانس وثبات المفاهيم الخاصة بالواقع الاجتماعي بدلا من التغيير أو ضعف هذه المفاهيم والمعتقدات.

4.2. افتراضات نظرية الغرس الثقافي:

تقوم نظرية الغرس الثقافي على الفرض الرئيسي الذي يؤكد على أن الأفراد الذين يتعرضون لمشاهدة التلفزيون بدرجة كثيفة يكونوا أكثر قدرة لتبني معتقدات عن الواقع الاجتماعي تتطابق مع الصور الذهنية والنماذج والأفكار التي يقدمها التلفزيون عن الواقع الواقعي، أكثر من ذوي المشاهدة المنخفضة[1].

كما تقوم نظرية الغرس على مجموعة من الفروض الفرعية، تتمثل في[2]:

- عملية الإنماء تؤدي إلى خلق مفاهيم عامة توحد الاستجابة لأسئلة معينة تأتي هذه المفاهيم من التعرض الكلي لبرامج التلفزيون وليس من خلال بعض البرامج المنتقاة، فإن التعرض الكلى هو الذي

[1]. محمد منير حجاب: **نظريات الاتصال**، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط01، مصر، 2010 ، ص307.

[2]. أماني عمر الحسيني: مرجع سابق، ص ص 96-97.

يحقق أهداف عملية الإنماء بدلا من المشاهدة الانتقائية لأنواع معينة من البرامج، ولابد أن نتجاهل الاختلافات والتنوع في شكل البرامج وأساليب معالجتها ولكن الاهتمام كله موجه تجاه التماثل أو التوافق الذي يقدمه المضمون العام للتلفزيون.

– يختلف التلفزيون عن غيره من الوسائل الأخرى، بأن الغرس يحدث نتيجة التعرض والاستخدام غير الانتقائي من قبل الجمهور، الذي صنفته النظرية إلى ثلاثة فئات من حيث كمية المشاهدة: كثيف المشاهدة ومعتدل المشاهدة وقليل المشاهدة[1].

– يقدم التلفزيون عالما متماثلا من الرسائل الموحدة والصور الرمزية عن المجتمع بشكل موحد أو متشابه عن الواقع الحقيقي.

– يزيد حدوث الغرس عند اعتقاد المشاهدين بأن الدراما واقعية، وتسعى لتقديم حقائق بدلا من الخيال.

5.2. المتغيرات والعوامل المؤثرة في عملية الغرس الثقافي:

تتعدد المتغيرات في عملية الغرس الثقافي، ولقياس الغرس يتطلب الأمر قياس العديد من المتغيرات الأساسية:

– التعرض للتلفزيون كمتغير مستقل.

– اعتقادات الأفراد عن الواقع كمتغير تابع.

– الكثير من المتغيرات الوسيطة التي تحكم العلاقة بين المتغيرين المستقل والتابع.

– **المتغير المستقل:** وهو حجم التعرض للتلفزيون ويتم قياسه عن طريق السؤال المباشر عن عدد الساعات التي يقضيها المبحوث أمام شاشة التلفزيون، ويرى "جربنر" أن حجم المشاهدة هو المؤشر الأكثر ارتباطا بعملية الغرس، وأن كثيفي المشاهدة يتعرضون بالساعة وليس بالبرنامج وتم تقسيم المبحوثين إلى كثيفي المشاهدة وقليلي المشاهدة تمهيداً لتحديد أثر الاختلاف في التعرض على الاختلاف في متغير "الغرس ".

– **المتغير التابع:** وهو الغرس الذي يمثل معتقدات وتصورات المبحوثين حول موضوع البحث، فقد أشار كل من "هوكينز" (Hawkins) و"بيجرين" (Pingree) إلى أن هناك مستويين لقياس وتحليل حدوث الغرس على مستوى هذه التقديرات والمعتقدات والتصورات، وهما[2]:

المستوى الأول للتحليل ويشير إلى التقديرات الكمية لحدوث شيء معين.

المستوى الثاني للتحليل يستخدم لقياس تقييم معتقدات المبحوثين التي يغرسها التلفزيون عن العالم الحقيقي.

– **المتغيرات الوسيطة:** هناك العيدد من المتغيرات التي قد تتدخل في العلاقة بين التعرض للتلفزيون وحدوث تأثيرات الغرس، مما قد يزيد من قوة هذه العلاقة، ومن أهم هذه المتغيرات:

---

[1]. بسام عبد الرحمان المشاقبة: مرجع سابق، ص180.

[2]. مصطفى يوسف كاف: **الرأي العام ونظريات الاتصال**، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2014، ص221.

– المتغيرات الديموغرافية: وتشتمل على السن، المستوى الاجتماعي والاقتصادي، النوع، التعليم.

– المتغيرات المرتبطة بالمشاهدة ودوافعها المتمثلة في المشاهدة الطقوسية والتي تتم بحكم العادة، والمشاهدة الهادفة والمشاهدة النشطة.

6.2. المفاهيم الجديدة لنظرية الغرس الثقافي:

قام "جربنر" وزملاؤه بتطوير نظرية الغرس، عندما تضارب تحليل البيانات التي جمعها عام 1976، والتي حاول "هيرش" سنة 1980 أن يعيد تحليلها مرة أخرى ولم يستطيع التوصل إلى نفس النتائج التي توصل إليها "جربنر"، فرد عليه "جربنر" بإدخال مصطلحين من واقع أن كثافة المشاهدة التلفزيونية تختلف نتائجها باختلاف الفئات الاجتماعية، وهما[1]:

– **الاتجاه السائد:** إن مشاهدة التلفزيون لفترات طويلة يصبح إدراكهم للعالم المقدم على شاشة التليفزيون متشابها، وأكثر تأثيرا بالمؤثرات والمتغيرات والعوامل الاجتماعية والثقافية، وبالتالي فإن الاتجاه السائد يشير إلى سيطرة التليفزيون في غرس الصور والأفكار بشكل يجعل الفوارق أو الاختلافات تقل أو تختفي بين الجماعات ذات الخصائص السكانية المتباينة، وقد فسر "جربنر" الاتجاه السائد من خلال ما أطلق عليه (bs3) أي الثلاث كلمات التي تبدأ بحرب B وهي[2]:

– التلاشي (Blurring) وتعني أن التعرض المكثف للتليفزيون يؤدي إلى تلاشي أو اختفاء الاختلافات الاجتماعية التقليدية في وجهات النظر وجعلها غير واضحة.

– الاندماج (Blending): يمزج التلفزيون بين آراء الجماعات المختلفة والمتباعدة في الاتجاه الثقافي السائد.

– التحول (Bending): وهو تشكيل وتحويل الاتجاه السائد في اتجاه اهتمامات، وسياسات القائمين على المؤسسات الإعلامية، أي تحول المضامين الإعلامية وما تحمله من معاني مختلفة لكي تعبر عن سياسات القائمين بالاتصال.

وعليه فإن مفهوم الاتجاه السائد يعني أن وسائل الإعلام تخلق وجهة نظر مشتركة بين المشاهدين، فالمشاهدة الكثيفة تؤدي إلى إذابة الفروق في إدراك الواقع الاجتماعي التي تسببها العوامل الديموغرافية والاجتماعية.

– **التضخيم:** ويقصد به أن وسائل الإعلام تقدم دعما لما يحدث في الحياة اليومية أي أنه يتطابق ما يراه الأفراد في العالم التلفزيوني مع إدراكهم الاجتماعي، وبالتالي فإن التطابق بينهما قد يسبب تضخيما للحدث بما يؤدي إلى تأكيد عملية الغرس. وربما يؤدي التطابق بين العالم الرمزي التلفزيوني، وظروف الحياة

---

[1]. أمينة صابر: **نظرية الغرس الثقافي**، كلية التربية، جامعة طنطا، مصر، د س ن، ص ص 11-12.

[2]. وجدي حلمي عيد عبد الظاهر: **نظرية الغرس الثقافي**، نشر يوم: 2013/12/10، متاح على رابط المدونة الإلكترونية: http://constantine3.blogspot.com/2013/12/cultivation-theory_10.html، تاريخ الزيارة:2020/10/10.

الواقعية إلى التضخيم الذي يؤدي إلى زيادة حدوث أنماط الغرس فيحصل كثيفو المشاهدة ممن لديهم تجارب مع العنف البدني على جرعة مزدوجة.

7.2. الانتقادات الموجهة لنظرية الغرس الثقافي:

على الرغم من أن نظرية الغرس حظيت بتأييد كثير من الباحثين، إلا أنها واجهت العديد من الانتقادات، فقد وجه "تيو كمب" (New comb) انتقادا حادا لرؤية "جيربنر"، حيث يرى أن أفكار التلفزيون ورموزه لم تخلق من قبل هذه الوسيلة، وأن الأفكار لها تاريخ ومعان في الثقافة التي هي سابقة على التلفزيون، كما حذر من إغفال أهمية التجربة الإنسانية والخبرة الشخصية[1].

– يرى أنصار مدخل الاستخدامات والإشباعات أن نظرية الغرس الثقافي تجاهلت متغير الدوافع، حيث أنهم يرون أن "جربنر" لم يبذل جهداً للتفرقة بين الذين يشاهدون التليفزيون بطريقة روتينية والذين يشاهدون التلفزيون بطريقة انتقائية نشطة، وهنا يصبح الغرس متغيرا تابعا لمتغير الدوافع وليس التعرض للتلفزيون.

– انتقد "هيرش" (Hirsch) نظرية الغرس لعدم التحكم الدقيق والكافي للمتغيرات الأخرى، وذلك لاختلاف نتائج البحث عندما تم تحليلها مرة أخرى بمعامل الارتباط المتعدد خاصة بعد أن تم إدخال متغيرات ديموغرافية، فتأثرت العلاقة بين التعرض للتلفزيون وتأثيرات الغرس، وفي محاولة من مؤيدي الغرس لشرح وتفسير هذه المتغيرات الديموغرافية[2] تم عمل ضبط إحصائي بكل المتغيرات في نفس الوقت، كما قاموا بتطوير مفهومي الاتجاه السائد والتضخيم.

– أخذ بعض الباحثين على نظرية الغرس أنها تنظر إلى التأثير التلفزيوني بشكل عام، من خلال عدد ساعات المشاهدة الكلية دون النظر إلى نوعية البرامج التي يتعرض لها المشاهد، حيث أن التعرض لنوعية معينة من البرامج الترفيهية الدرامية يكون أكثر تأثيرا في حدوث الغرس وليس المشاهدة الكلية.

– يشكك كثيرون في إمكانية حدوث الغرس في أي مكان آخر غير الولايات المتحدة الأمريكية وذلك لأن استخدام التليفزيون ومحتواه يكون مختلفاً عادة، حيث تبقى النظرية بحاجة لاختبار فروضها في متغيرات غير الجريمة والعنف مع تثبيت متغير كثافة المشاهدة[3].

---

[1]. محمد محمد عمارة: مرجع سابق، ص79.

[2]. عبد النبي عبد الله الطيب: مرجع سابق، ص156.

[3]. مصطفى يوسف كاف: مرجع سابق، ص222.